جامعة تكريت

كلية التربية للعلوم الإنسانية

قسم اللغة العربية

المرحلة الثالثة

المادة: فقه اللغة

عنوان المحاضرة

الفرق بين مصطلحي فقه اللغة وعلم اللغة

أ.م.د. سعد أحمد إبراهيم

2024 **2025**

الفرق بين مصطلحي فقه اللغة وعلم اللغة

من المفيد أن نسلط الضوء على هذين المصطلحين - فقه اللغة وعلم اللغة - الشائكين في الدراسات اللغوية عامة والدراسات اللغوية الحديثة خاصة؛ لأنَّ هناك خلطًا واضحًا فيما بينها ، وقد أدَّى هذا الخلط بجمع كلا المصطلحين تحت مفهوم واحد ؛ نظرًا للوشائج اللغوية المدروسة المتداخلة في ظلهما، من حيث نشأت اللغة وأصلها فضلاً عن اللهجات التي تفرعت عنها، فذهبت فيها أقوال وآراء شتَّى لا تكاد تتفق في أي منها على رأي واحد.

وقد تناول بعض علماء اللغة العرب المحدثين بالدراسة المتأنية الفاحصة عن هذا الخلط بين فقه اللغة وعلم اللغة، فقد قال الدكتور عبده الراجحي في كتابه (فقه اللغة في الكتب العربية) وهو يتكلم عن هذا الموضوع :" إنَّ معظم هؤلاء الكتاب قد سوَّى بين فقه اللغة وعلم اللغة؛ فالدكتور علي الوافي لا يفرق بينهما تفريقاً واضحاً حتى إنهما يكادان يكونان شيئاً واحداً غير أنَّ فقه اللغة عنده يختص بالبحوث المتصلة بالعربية وحدها" والسبب في ذلك وفقًاً لما يراه الدكتور وافي، أنَّ فقه الشيء هو كل ما يتصل بفلسفته وفهمه والوقوف على ما يسير عليه من قوانين، فقد قال صاحب المصباح المنير:" الفقه فهم الشيء" وقال ابن فارس في كتابه (الصاحبي في فقه اللغة) :" كل علم لشيء فهو فقه"، ومن ثم فإنَّ الدكتور الوافي يبرر تسمية كتابه بفقه اللغة إذ قال: وقد كنا نود أن نسمي كتابنا هذا باسم فقه اللغة لو لا أنَّ هذا الاسم قد خصص مدلوله في الاستعمال المألوف، فأصبح لا يفهم منه إلا البحوث المتعلقة بفقه العربية وحدها".

بينما يقرر الأستاذ محمد المبارك أن يطلق عليه أحد الاسمين (علم اللغة) و(فقه اللغة) وكلاهما يفيد المقصود وينطبق على المفهوم العلمي لمباحث اللغة، مع هذ يرى أنه باستعمالنا هذه التسمية وإطلاقنا على هذا العلم أحد الاسمين نكون قد جارينا قدماءنا الذين استعملوهما كليهما وأصابوا كل الإصابة في ذلك، ويقرر الدكتور صبحي الصالح أنه من العسير تحديد الفروق الدقيقة بين علم اللغة وفقه اللغة؛ لأنَّ جُلَّ مباحثهما متداخل لدى طائفة من العلماء في الشرق والغرب، قديماً وحديثاً، وقد سمح هذا التداخل أحياناً بإطلاق كل من التسميتين على الأخرى، ومن ثم يقترح على الباحثين المعاصرين ألا يستبدلوا بهذه التسمية شيئاً (أي فقه اللغة)،

وأن يعمموها على جميع البحوث اللغوية، لأنَّ كلَّ علمٍ لشيء فهو فقه، فما أجدر هذه الدراسات جميعًا أن تسمَّى فقهًا!.

وإذا التمسنا التفرقة بين هذين الضربين من ضروب الدراسة اللغوية، من خلال التسميتين المختلفتين اللتين تطلقان عليهما، وجدنا أن علم اللغة عند الغرب: Linguistiqus ou Science Du Langage, أي: العلم المختص بالكلام أو اللغة؛ واسم فقه اللغة عندهم: "philologie", وهي كلمة مركبة من لفظين إغريقيين أحدهما philos بمعنى الصديق، والثاني Logos بمعنى الخطبة أو الكلام، فكأنَّ واضع التسمية لاحظ أن فقه اللغة يقوم على حب الكلام, للتعمق في دراسته من حيث قواعده وأصوله وتأريخه، فلم يكن فقه اللغة بمنأى عن علم اللغة بل كان وثيق الصلة به، فمباحثه متنوعة كما يقول دي سوسير:" مهدت السبيل لعلم اللغة التأريخي" بل إنَّ لومل Lommel يذكر في رسالته التي بعنوان (كيف يدرس علم اللغة؟) أنَّ" علم اللغة من أهم الوسائل المساعدة للدراسات الفيلولوجية من جانب، ومن جانب آخر فإنه علم قائم بذاته ، له وظيفة معينة وطرق وميادين معروفة، ولا يستغني علم اللغة عن الفيلولوجيا ، لأن أهم مصادره هي النصوص اللغوية ، والعلاقة وثيقة الصلة بين العلمين إلى درجة أنَّ الاستعمال الشائع للكلمتين لا يكاد يفرق بينهما".

ومع أن مصطلح (فقه اللغة) عربي قديم _كما سيتضح لنا_ إلاّ أنَّ عددًا من الباحثين يروق لهم أن يستعملوا مكانه أحيانًا مصطلح (فيلولوجيا) أو (فيلولوجي) وهو مصطلح غربي، بعد تعريبه كما ترى في الكلمة الأولى أو نقله دخيلاً كما في الثانية، ولا نرى ضرورة لذلك؛ إذ إنَّ المصطلح العربي الذي ذكرناه منضبط ودال على هذا العلم.

على أنَّ كلمة (الفيلولوجي) قد تحددت عند الألمان بدراسة النصوص دراسة تاريخية لمحاولة فهمها، مع الاستعانة بدراسة الفروع اللغوية الأخرى التي يبحث فيها علم آخر عندهم هو (علم اللغة).

غير أنَّ هذا لا يعني أن مباحث فقه اللغة الحديث بعامة وقفت عند هذا اللون من البحث، بل إنها في الواقع تجاوزته إلى مباحث أخرى، عبر تأريخ هذا العلم وتطوراته فيذكر فردينان دي سوسير أن فقه اللغة إنما يطلق غالباً على الحركة العلمية التي بدأها فردريك أوكست ولف

في علم 1777م، والتي استمرت حتى يومنا هذا، وكذلك يذكر أن اللغة ليست الهدف الوحيد لهذه الحركة، بل إنَّ علماء فقه اللغة اهتموا ايضًا بإصلاح النصوص المكتوبة وشرحها والتعليق عليها، وأنَّ هذه الدراسة قد شجعت أصحابها على الاهتمام بالتأريخ الأدبي والعادات والتقاليد والنظم الاجتماعية وغيرها، فضلا عن استخدام هؤلاء العلماء أساليب النقد في دراستهم، وكان هدفهم من هذه الدراسة اللغوية الموازنة بين النصوص التي كتبت في فترات مختلفة، أن يتبينوا اللغة التي يختص بها كل مؤلف من مؤلفي هذه النصوص، ولحل رموز عدد من اللغات القديمة الغامضة وتفسيرها.

ولا شك أنَّ مثل هذه الدراسات قد مهدت لعلم اللغة التأريخي، وكان عيب فقه اللغة الغربي في هذه الفترة انحصار جل عنايته بدراسة اللغة الاغريقية واللاتينية القديمة، وهو ما اطلق عليه المحدثون اسم (فقه اللغة الاتباعي) أو كما يسمى أيضا الكلاسيكي الذي عني بهاتين اللغتين من حيث قواعدهما وتأريخ أدبها ونقد نصوصهما، ولا يبتعد مفهوم علمائنا القدامى لفقه اللغة عمّا نسميه اليوم: فقه اللغة الاتباعي، إذ إنَّ أغلب بحوث هذا العلم عندهم تتعلق باللغة العربية الفصحى من حيث تأريخها وقواعدها ونقد نصوصها،، فقابلت الفصحى عندهم الإغريقية واللاتينية عند الغربيين.

ثم بدأت مرحلة أخرى من مراحل فقه اللغة الحديث، عندما اكتشف العلماء أنَّ اللغات يمكن الموازنة بينهما، وكان هذا الاكتشاف بداية (فقه اللغة المقارن) وقد انصب أكثر هذه الدراسات المقارنة أولاً على الهندية – الأوربية، إلاَّ أنَّ هناك دراسات تتعلق باللغات الرومانسية ، وهي اللغات التي انبثقت عن اللاتينية كالفرنسية والايطالية والاسبانية والبرتغالية والرومانية، وقد بدأ بالدراسات المتعلقة بهذه اللغات الرومانسية(دياز) ما بين الأعوام 1836 _ 1838 وساعدت هذه الدراسات من اقتراب علم اللغة من هدفه المنشود إذ تميز علماء اللغات الرومانسية من علماء اللغات الهندو– أوربية وتفوقوا عليهم في أنهم كانوا يحسنون اللغة اللاتينية _ اللغة الأم لهذه اللغات _ من ناحية ، وتتوفر لديهم مجموعة كبيرة من النصوص من ناحية اخرى، الأمر الذي أعانهم على أن يكتشفوا تطور اللهجات الرومانية المختلفة بصورة تفصيلية.

وبذلك نستطيع القول إننا عندما نأخذ بهذا الاصطلاح : (فقه اللغة) فإننا نتناول في الدراسة المباحث القديمة ، ولكن بأسلوب حديث، كما نتناول قوانين علم اللغة المعاصر في هذه الدراسة ، بل إننا لنلمح في فقه اللغة أحيانًا عنصرًا مستقبليًّا هو ما يصح أن نطلق عليه (إثراء اللغة) عن طرائق إنمائها، وهو مجال نشاط المجامع اللغوية.

واختص فقه اللغة في الجامعات العربية بدراسة فقه اللغة العربية، وان تباينت مناهجه بين الدراسة الاتباعية، والقديمة، ومحاولات لتطبيق المناهج الحديثة في الدرس للغوي، واتسم كذلك بمنهج خاص به مستقل تماما عن المناهج الأخرى للعلوم المختلفة كالتفكير الفلسفي أو الغيبي الميتافيزيقي أو المنطقي الصوري.

وفي ضوء هذا المنهج عُرِّفَ فقه اللغة بأنه " منهج للبحث الاستقرائي وصفي يعرف به موطن اللغة الأولى ، وفصيلتها، وعلاقتها باللغات المجأورة أو البعيدة، الشقيقة أو الأجنبية ، وخصائص أصواتها ، وأبنية مفرداتها وتراكيبها، وعناصر لهجاتها، وتطور دلالتها ومدى نمائها قراءة وكتابة.

وكذلك عُرِّفَ بأنه:" العلم الذي يحاول الكشف عن القوانين التي تسير عليها_ اللغة_ في حياتها وسر تطورها، ودراسة ظواهرها المختلفة دراسة تأريخية من جانب، ووصفية من جانب آخر .

وفي ضوء هذين التعريفين يتبين لنا أن فقه اللغة تتعلق به ثلاثة علوم هي:

التأريخ: وذلك لمعرفة موطن اللغة الأولى، والوشائج التي بينها وبين لغات انسانية أخرى وتنوع لهجاتها ، وتطور خطها وكتابتها.

علم الأصوات: وتتعلق بصفات أصوات اللغة ومخارجها، واختلاف هذه الأصوات بحسب اللهجات المختلفة، وما يطرأ عليها من تطور نتيجة الظواهر اللغوية.

علم الدلالة: ويبحث فيم معاني ألفاظ اللغة، وتطور هذه المعاني بحسب العصور المتعددة والظروف المتنوعة، من فكرية وثقافية وسياسية واقتصادية واجتماعية ونفسية.

أما مجال علم اللغة؛ فهو كما يذكر دي سوسير يجب أن يشتمل على ما يأتي:

1_ وصف تأريخ اللغات المعروفة كافة ، وذلك بتتبع تأريخ الأسر اللغوية وإعادة بناء اللغة الأم لكل أسرة على قدر المستطاع كلغات الجزريين واللغات الحامية، واللغات الهندو_ أوربية.
2_ تحديد القوى والقوانين التي تعمل بصورة مستمرة في اللغات كلها، واستنتاج القواعد العامة من جميع الظواهر التاريخية الخاصة.
تحديد معالم علم اللغة وطبيعته.

وبهذا يتبين لنا الفارق بين فقه اللغة وعلم اللغة، من حيث إنَّ الأول يعنى بلغة من اللغات، فيدرس تأريخها وأصواتها ودلالة ناطقيها، على حين يعني علم اللغة باللغات كافة ، لا بلغة معينة واحدة ، فيتناولها بالدرس من حيث تأريخها وقوانينها وظواهرها العامة المشتركة دون الوقوف عند خاصية كل واحدة منها على انفراد.

ومع هذا الفارق بين فقه اللغة وعلم اللغة من بعض الجوانب ، هناك نقاط اتصال واضحة بينهما، فكل منهما يقدم للآخر ما يتوصل إليه من بحث، فالبحوث التاريخية المتعلقة باللغات، وهي مما يعنى به فقه اللغة، مادة جيدة لعلم اللغة، ويقابل ذلك أن القوانين العامة التي تتحكم في اللغات بعامة، وهي التي اكتشفها علم اللغة، وذات قيمة علمية لمباحث فقه اللغة، كالبحث في الأصوات وتطور الدلالات، والأثر الاجتماعي والديني والنفسي في اللغة وما إلى ذلك، وفي هذا يقول دي سوسير:" أما علم الفيلولوجيا (فقه اللغة) فهو يتميز من علم اللغة مع وجود نقاط الاتصال بين العلمين والخدمات المتبادلة التي يقدمها كل منهما للآخر".